المبحث الثامن

الإبداع والإبتكار الموسيقي

أولًا: الابداع والابتكار الموسيقي

1- مفهوم الابداع الموسيقي:

إتيان الفرد بشيء جديد أو قدرة على إعادة تقديم القديم بصورة جديدة أوغريبة، وقدرته على التعامل مع الأشياء المألوفة بطريقة غير مألوفة. وكذلك القدرة على تكوين وإنشاء شيء

جديد، أو دمج الآراء القديمة أو الجديدة في صورة جديدة أصيلة، أو استعمال الخيال لتطوير وتكييف الآراء بهدف إشباع الاحتياجات بطريقة جديدة، أو عمل شيء جديد ملموس أو غير ملموس بطريقة أو بأخرى. كما يعرف الإبداع بأنه: "حالة تنحو لإيجاد أفكار أو طرق ووسائل غاية في الجدة والتفردبحيث تشكل إضافة حقيقية لمجموع النتاج الإنساني؛ كما تكون ذات فائدة حقيقية على أرض الواقع إذا كان الموضوع يرتبط بموضوع تطبيقي، أو أن يشكل تعبيراً جديداً وأسلوباً جديداً عن حالة أو اجتماعية أو إذا كان الموضوع نقدياً، أو أن يشكل تعبيراً ضمن شكل جديد وأسلوب جديد عن والمشاعر الإنسانية إذا كان الموضوع يتعلق بالنتاج الأدبي وأشكاله".

وفي ضوء ذلك يمكننا القول أن الإبداع الموسيقي عبارة عن: "العملية التي تنتج الحدث الموسيقي والذي يختلف من فرد إلى آخر ومن حدث إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى، وتتأثر عمليات الإبداع الموسيقي بوجود أو غياب مجموعة من القواعد الثقافية المحددة للإبداع ولعل **من أهم هذه القواعد مايلي**

- **القواعد الاجتماعية:** وهي تعد بمثابة بناءات اجتماعية حاكمة لسلوكيات حياتنا اليومية وللفنون الحياتية التي ننتجها.
- الإبتكار أو التجديد المنظم للقواعد.
- القواعد الحاكمة التي تسمح بعمليات التقليد.

2- مكونات الابداع الموسيقي:

1. **الاستكشاف التخيلي للصوت:** إن عملية الاستكشاف التخيلي للصوت تقوم على مجموعة من المكونات لدى الفرد وهي الصوت، والوسائل أو الآلات الموسيقية، والجسم.
2. **الإرتجال أو التأليف الموسيقي:** وتتطلب عملية الارتجال أو التأليف الموسيقي توافر مجموعة من المكونات مثل: القدرة على

إنتاج الفرد للألحان، والآلات أو الوسائل الموسيقية، والقدرة على الغناء بمصاحبة النغم، والرقص والحركات.

3 . الرمزية: وتتطلب العمليات الرمزية توافر مجموعة من العوامل مثل: اللعب الحر، والقدرة على تدوين الملاحظات، والإيماءات.

3- مهارات الابداع الموسيقي:

أ- مهارة الإنصات:

يرى جوردن أن مهارة الإنصات من المهارات الأولية والرئيسة في الإبداع الموسيقي، وذلك قبل قيام الفرد باكتساب مهارتي الإرتجال والتأليف، فمهارة الإنصات يقصد بها: "قدرة الفرد على السمع، والفهم الصامت للموسيقي، عندما يكون الصوت الموسيقي غير موجود مادياً". ويتطلب تطوير المهارات السمعية قيام الطلاب بتطوير المفردات المرتبطة بالأنماط الموسيقية التي تتشابه مع تطوير المفردات اللغوية، فالطلاب يكتسبون المفردات اللغوية بصورة طبيعية من خلال الكلمات أو من خلال التعبيرات التي يكتسبونها من البيئة المحيطة بهم من خلال عمليات التعلم الرسمية وغير الرسمية. وأوضحت نتائج دراسة أن مهارة الإنصات تؤثر في عمليات الإرتجال الموسيقية، فالطلاب الذين حصلوا على درجات عالية في مهارة السمع قد حصلوا على درجات عالية في عمليات الإرتجال الموسيقية.

ب- مهارة الارتجال الموسيقية:

تُعد مهارة الارتجال الموسيقية، ومهارة التأليف الموسيقية من المهارات الأساسية في عملية الإبداع الموسيقي، وفي بناء وتشكيل القوالب الموسيقية الجديدة؛ فمهارة الارتجال الموسيقية تحتاج من الفرد إلى أن يكون قادراً على خلق أو توليد وانتقاء الأفكار الموسيقية. ومهارة الارتجال الموسيقية كما أوضحها روبنسون تتطلب من الفرد الاستجابة الإبداعية التلقائية التي تظهر في استجابات الفرد الأصيلة للمثيرات الموسيقية وغير الموسيقية، فمثلاً عندما يقوم عازفي موسيقى الجاز بالعزف فإنهم في الغالب يعزفون النغمات التي تمثل الخطوط العريضة والموجهة للأغنية، وفي الوقت ذاته يمكنهم الاستجابة بصورة أصيلة ومبتكرة للمثيرات غير اللفظية مثل التغذية الراجعة السمعية، فمهارة الإرتجال الموسيقية تشابه مهارة الإرتجال اللفظية التي تتطلب من الفرد القيام بتوليد الاستجابات اللفظية وغير اللفظية الأصيلة التي تتلاءم مع طبيعة موضوع الإرتجال المطروح.

ج – مهارة التأليف الموسيقية:

تتطلب مهارة التأليف الموسيقية من الفرد القيام بعملية توليد للأفكار وتذكرها والبحث عن أفضل الطرق والسبل التي يستطيع الفرد المبدع موسيقياً من خلالها تقديم الأفكار الإبداعية الموسيقية التي قام بتأليفها. وتشير لي إلى أن مهارة التأليف الموسيقية تتطلب من خلق أو إبداع أو ابتكار نمط موسيقي جديد عن قصد؛ بمعنى آخر قيام المؤلف بكتابة أفكاره في النوتة الموسيقية، ثم القيام بعمليات تنقيح لهذه الأفكار حتى تظهر في صورتها النهائية بصورة جيدة، ولكن هذه الطريقة لم تكن متبعة لدى الموسيقين التقليديين، فقد كانوا لا يهتمون بتسجيل أفكارهم في نوتة موسيقية بل كانوا يحفظون أفكارهم في الذاكرة ويتذكرونها أثناء الغناء، أو أثناء العزف ثم يقومون بعمليات التنقيح أثناء الغناء أو العزف، وتستمر عمليات التنقيح مرة بعد أخرى وصولاً إلى المكون النهائي الذي تم تأليفه.

إن الطلاب الشباب يمكنهم أن يبدأوا في عمليات التأليف الموسيقية دون الحاجة إلى القيام بعمليات تدوين للملاحظات، وذلك من خلال ورقة التعليمات التي تقدم لهم، ويمكنهم أن يقوموا بعمليات التأليف للألحان القصيرة، ويمكنهم أن يتذكروها ويقومون بنقلها شفهياً إلى زملائهم في مرحلة مبكرة من حياتهم؛ وقد تبدأ عمليات التأليف الموسيقية في فترة مبكرة من حياة الطلاب وهي مرحلتي الصف الثاني أو الثالث الابتدائي.

ويرى وغنز أن عمليات التأليف يجب أن تبدأ من الصف الرابع أو الخامس بدلاً من الصف الثاني أو الثالث، ويفسر ذلك بأن اعتماد الطفل في مرحلة مبكرة بعمليات التدوين للملاحظات قد تشغله عن هدفه الأسمى وهو التأليف. ويرى ونغنز أن الأطفال يجب أن ينخرطوا أولاً في القيام بعمليات الإرتجال الموسيقية قبل القيام بعمليات التأليف، فالارتجال ينمي لدى الأطفال مجموعة من المهارات يمكن أن يستفيد منها الأطفال في عمليات التأليف بعد ذلك.